عِلَلُ العَصَبِ

[١٨]- مسألة: فإنْ سأَلَ سائلٌ فقالَ: من قِبَلِ أيِّ شيءٍ يُبْصِرُ الإنسانُ بالنَّهارِ ولا يُبْصِرُ باللَّيلِ؟

كانَ[١] الجوابُ في ذلكَ أنْ تقولَ: من كيموس[٢] بلغمٍ[٣] لَزِجٍ يكونُ راسِخًا في العَصَبِ الأجوفِ، وذلكَ لأنَّ اللَّيلَ طَبْعُهُ البَرْدُ، ومن شأنِ البَرْدِ الجَمْعُ، فإذا كانَ اللَّيلُ جَمَّدَ[٤] وجَمَعَ[٥] ذلكَ الفضلَ الراسخَ في العَصَبِ وسَدَّ الطريقَ والمَسْلَكَ الذي يَنْفَذُ فيه هذا النُّورُ، وهو المُؤدِّي، فلا يُبْصِرُ الإنسانُ باللَّيل.

ولمَّا كانَ النَّهارُ طَبْعُهُ الحرارةُ؛ فبحرارتِهِ واستنارةِ الشَّمسِ وحرارةِ شُعاعِها وحَرَكةِ العَصَبِ وتَقَلُّبِهِ بالنَّهارِ تتحلَّلُ[٦] تلكَ الرُّطوبةُ الرَّاسخةُ في العَصَبِ الأجوفِ، فإذا تحلَّلَت تلكَ الفُضولُ[٧]، أو نقصَتْ[٨] ... أبصرَ صاحِبُ العِلَّةِ، وهذه العِلَّةُ تُسَمَّى: الشَّبْكرةَ، عَليلها[٩] شَبْكور.

[١٩]- مسألة: فإنْ قالَ: من أيِّ شيءٍ يُبْصِرُ الإنسانُ باللَّيلِ وفي الظُّلمةِ ولا يُبْصِرُ في الضَّوءِ ولا بالنَّهارِ؟

١- نور عثمانية: (كان): ساقطة منها.

٢- مفاتيح العلوم: (ص١٦٧): "الكيموس: المادَّة، يقال: هذا الطعام يولِّد كيموسًا رديئًا أو جيّدًا؛ يعني به ما يولِّده في البدن من الغذاء".

٣- مفاتيح العلوم: (ص١٦٧): "الأخلاط: هي الدَّم والبَلغم والمِرَّة الصَّفراء والمِرَّة السَّوداء، وهي الأمشاج".

٤- يقصد المؤلِّف أنَّ هذا الكيموس يَجْمَدُ في الليل بسبب البَرْد.

٥- يقصد المؤلِّف أنَّ تجمّد هذا الفضل في الليل يؤدِّي إلى تجمّعهِ في داخل العَصَب.

٦- نور عثمانية: (فيحلل). بطرسبورغ: (فتحلل).

٧- تيمور: (الفضول) ساقطة منها.

٨- سقط جزء من النَّصّ، وفي موضعه كلمات يمكن أنْ نفهمَ منها "أو ما رقَّ منه".

٩- بطرسبورغ: (عليهما). نور عثمانية: (عليها).

قيلَ لهُ: الجوابُ في ذلكَ {...، وذلك[1]} أنَّ هذا لا يُبْصِرُ لحرارةِ المِرَّةِ الصَّفراءِ الرَّاسخةِ في العَصَبِ النُّوريِّ الأجوفِ. وطَبْعُ النَّهارِ[2] حَارٌّ، والمِرَّةُ الصَّفراءُ حارَّةٌ، وحرارةُ الشَّمسِ قُبَالَتُها، فتزدادُ الضِّياءاتُ والحرارةُ كُلُّها مع {حرارةِ الطَّبيعةِ[3]}. وكُلٌّ مُقَوٍّ[4] لشكلِهِ فلذلكَ لا يُبْصِرُ بالنَّهارِ.

ويُبْصِرُ باللَّيلِ لبَرْدِهِ وإطفائِهِ لتلكَ الحرارات[5]، وَبَرْدِهِ وجَمْعِهِ الناظرَ[6]، ولبَرْدِ اللَّيلِ ورطوبتِهِ يحلِّلُ تلكَ الحرارةَ ويُبْطِلُها، فيُبْصِرُ عند ذلكَ باللَّيلِ ولا يُبْصِرُ بالنَّهارِ.

[٢٠]- مسألة: فإنْ قالَ قائلٌ: فَمِنْ قِبَلِ أيِّ شيءٍ يُبْصِرُ الإنسانُ من[7] بعيدٍ ولا يُبْصِرُ من قريبٍ؟

قيلَ لَهُ: إنَّ هذا من كيموس بَلْغَمٍ لَزِجٍ مُتَلَبِّدٍ[8] يكونُ قد قَرَّ في ذلكَ العُضوِ وفي ذلكَ العَصَبِ الأجوفِ، فإذا اعتمدَ الإنسانُ بِبَصَرِهِ[9] إلى الشَّيءِ البعيدِ لِيُدْرِكَهُ أتعبَ

١- اضطرابٌ في النَّصِّ ومن الصَعبِ تقديرُ الكلماتِ التي اختارها المؤلِّفُ، ونرجِّح أنَّ معناها: (على نقيض ما جاء في المسألة السابقة)، ونرجِّح أنَّه استعملَ كلمة (قَلْب) بمعنى (نقيض) أو (عكس). والعبارة هي: [على قَلْب نِصِّه الأوَّل] كما ورد في: بطرسبورغ، وتيمور.

٢- تيمور: (النار).

٣- نور عثمانية: (الحرارة الطبيعية). ولا نستبعد أن تكون عبارة نور عثمانية هي الصحيحة، وفي هذه الحالة يتغير المعنى، أمَّا ما كتبناه فهو ما نرجِّحه.

٤- نور عثمانية: (يقوي).

٥- نور عثمانية: (الحرارة).

٦- نور عثمانية: (للناظر).

٧- نور عثمانية: (من): ساقطة منها.

٨- القاموس المحيط: (٣٣٤/١): "لَبَدَ كنَصَرَ وفَرِحَ لُبُودًا ولَبَدًا: أقامَ ولَزِقَ كأَلْبَدَ.٣-.. وتَلَبَّدَ الصُّوفُ ونحوهُ: تَداخَلَ ولَزِقَ بعضُه ببعضٍ".

٩- نور عثمانية: (ببصره): غير واضحة فيها.

العَيْنَ وأثارَتْ عند ذلكَ حرارةُ غريزتِها تلكَ الرُّطوبةَ التي في العَصَبِ الأجوفِ فأبصَرَ عند ذلك.

وهذه العِلَّةُ مِثْلُ الذي **يُبْصِرُ بالنَّهار ولا يُبْصِرُ باللَّيل.**

ومَنْ بِهِ مِثْلُ[١] هذه العِلَّةِ يكونُ في الصَّيفِ أقوى بَصَرًا، وإذا أصابَهُ وَهَجُ النَّارِ[٢] وحَرارةُ الشَّمسِ كان أحدَّ لبَصَرِهِ.

وإذا تَعِبَ ونَصِبَ...[٣].

فهذا هو دليلٌ على أنَّ العِلَّةَ من رطوباتِ[٤] البلغمِ تكونُ قارّةً[٥] راسِخةً في العَصَبِ الأجوفِ.

[٢١]- مسألة: فإنْ قالَ قائلٌ: إذا أَذْهَبَتْ[٦] إحدى العَينين ذلكَ النُّورَ الذي كان يَسْلُكُ في العَصَبِ[٧] الأجوفِ ولا يُصِيبُ مَسْلَكًا، إلى أين يصيرُ ذلكَ النُّورُ؟

قيلَ لَهُ: الجوابُ في ذلكَ أنْ تقولَ: إنَّ النُّورَ يَرْجِعُ[٨] إلى العَيْنِ الأُخرى.

١- نور عثمانية، بطرسبورغ: (مثل) ساقطة منهما.

٢- نور عثمانية: (النهار).

٣- نقص في النص.

٤- تيمور: هذه الكلمة صعبة القراءة في الصورة. (من) أو(في) بعد رطوبات: زائدة فيها.

٥- نور عثمانية: (باردة).

٦- تيمور، نور عثمانية، بطرسبورغ: (إذا ذهبت).

- القاموس المحيط: (١/٦٩-٧٠): "ذَهَبَ ذَهابًا وذُهُوبًا ومَذْهَبًا فهو ذاهِبٌ وذَهُوبٌ: سارَ أو مَرَّ، وبه: أزالَهُ كأَذْهَبَهُ وبه".

٧- تيمور، بطرسبورغ، نور عثمانية: (العضو).

٨- نور عثمانية، بطرسبورغ: (رجع).

[٢٢]- فإنْ قالَ: وكيفَ يصيرُ إلى العَيْنِ الأخرى؟

قيلَ لَهُ[١]: إنَّهما[٢] عَصَبتان تَنْبُتَان[٣] من الدِّماغِ إلى العَينين، أصْلُهُما واحدٌ، وطريقاهما مختلفان (كهذه الهيئة[٤]...[٥]).

وقَدْ قالَ بعضُ الحُكَماءِ أنَّه صارَ هكذا لهذه[٦] العِلَّة.

وقد مثَّلَهُ بِنَهْرٍ أصلُهُ واحدٌ لَهُ طَرَفانِ يَسِيرُ[٧] فيهِما[٨] ماؤُهُ.

فإذا سُدَّ[٩] أَحَدُ الموضعين[١٠] بحاجزٍ فإنَّ الماءَ يَرْجِعُ إلى النَّهرِ ثُمَّ يَصُبُّ[١١] في المَمَرِّ[١٢] الآخرِ والمَغِيضِ[١٣] الآخرِ فيجتمعُ فيه النُّورُ كُلُّهُ كما اجتَمَعَ[١٤] ذلكَ الماءُ كُلُّهُ.

١- نور عثمانية: (له): ساقطة منها.

٢- نور عثمانية: (إنهما): ساقطة منها. تيمور: الكلمة غير واضحة.

٣- نور عثمانية: (انتتار)، تيمور، بطرسبورغ: (انبتان).

٤- تيمور: (كهذه الهيه). نور عثمانية: كلمتان غير مفهومتين: (كهيه العيه). بطرسبورغ: (كهيه الهيه).

٥- الشكل غير مرسوم في المخطوطات الثلاث لكنَّه موجود في مخطوطات عربية أخرى كثيرة.

٦- نور عثمانية، بطرسبورغ: (العله).

٧- نور عثمانية: (يتبين). تيمور، بطرسبورغ: الكلمة مشوهة.

٨- تيمور، بطرسبورغ: (فيها).

٩- تيمور، بطرسبورغ، نور عثمانية: (فسد).

١٠- بطرسبورغ: الكلمة غير مقروءة فيها.

١١- نور عثمانية: (ينصب).

١٢- بطرسبورغ: (المر).

١٣- المنجد: (ص٥٦٤): "غَاضَ يَغِيضُ غَيْضًا ومَغَاضًا الماءُ: نقص أو غار أو نضب.
المَغِيضُ ج مَغَايض: مجتمع الماء ومدخله في الأرض".

١٤- تيمور، بطرسبورغ: (في): زائدة فيهما هنا.

[٢٣]- مسألة: فإنْ قالَ قائلٌ: الانتشارُ في العَيْنِ: في أيِّ موضعٍ من العَيْنِ هو؟

قيلَ لَهُ: قد قالَتِ العُلماءُ في ذلكَ قولين: فمنهم مَنْ قالَ إنَّه في طَرَفِ العَصَبةِ التي تؤدي النُّورَ مِنَ الدِّماغِ، وذكرَ حُجَّتَهُ في ذلكَ أنْ قالَ: إنَّ العَصَبةَ بمنزلةِ منفاخ كير[١] الحدَّاد الذي أوَّل العَصَبةِ ممَّا يلي الدِّماغَ، واسعٌ، وطَرَفُها ضَيِّقٌ، فإذا انتشرَ[٢] ذلكَ الضِّيقُ الذي ينحصرُ فيه نورُ العَصَبِ ضاعَ وذَهَبَ، فذلكَ[٣] هو عِلَّةُ الانتشارِ على ما قالَ هؤلاء[٤].

وأمَّا آخرون فقالوا: إنَّ الانتشارَ إنَّما هو: {اتّساعٌ من الثَّقْبِ[٥]} الذي في العَيْنِ، وذلك أنَّ العَيْنَ شبيهةٌ بالعِنَبَةِ[٦]...[٧] نصفُها في نصفِها على هذه الهيئة[٨]...، وفي وَسَطِها ثَقْبٌ في أحدِ النِّصفين وذلكَ أنَّه مجموعٌ كهيئةِ

١- تيمور: في الهامش كتبت كلمة (منفاخ) لشرح معنى كلمة (كير). نور عثمانية، بطرسبورغ: "بمنزلة منفاخ كير الحداد...". وكلمة (منفاخ) غير مقروءة بوضوح؛ هل هي (مفتاح) أو (منفاخ).

- القاموس المحيط: (١٣٠/٢): "الكِيرُ بالكسرِ: زِقٌّ يَنْفُخُ فيه الحَدَّادُ".

- كِيرٌ: ج: أَكْيَارٌ، كِيَرَةٌ: جِلْدٌ على شَكْلِ مِنْفَاخٍ يسْتَخْدِمُهُ الحَدَّادُ للنَّفْخِ في النَّارِ لإشْعَالِها أو إبقائِها مُشْتَعِلَةً لِتَحْميرِ الحَديدِ.

"إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثة". رواه البخاري ومسلم.

٢- تيمور، بطرسبورغ، نور عثمانية: (استتر). وهذا خطأ من الناسخ.

٣- نور عثمانية: (فلذلك).

٤- نور عثمانية: كتبت الكلمة (هاولا)، تيمور، بطرسبورغ: كتبت الكلمة: (هاولى).

٥- نور عثمانية: العبارة فيها: {الاتساع اتساع القلب}.

٦- تيمور، بطرسبورغ: (مشبهة بعنبة).

٧- نقصٌ في النَّصِّ. نرجّح أن تكون الكلمة (دخل). ينظر: المسألة (١٢).

٨- نور عثمانية: الكلمة غير مقروءة: (الفيه). والشكل غير مرسوم في كلِّ المخطوطات.

السُّفْرَة[١]، وفي جوفِهِ[٢] الرُّطوبةُ البَيضيةُ فينتشرُ ذلكَ الاجتماعُ، وَيَتَّسِعُ ذلكَ الثَّقْبُ فيضيعُ النُّورُ، كما يضيعُ ضوءُ السِّرَاجِ[٣] في الشَّمسِ، أو السِّراجُ عندَ النَّارِ الكبيرةِ. وربَّما ضاقَ فيَرُدُّ النُّورَ في العَصَبةِ والحُجُبِ الدَّاخلةِ[٤].

..... [٥]

من عِلَلِ هذا الثَّقْبِ: الضِّيقُ، والاتِّساع

..... [٦]

[٢٤]- مسألة: فإنْ قالَ قائلٌ: فما بالُ العَيْنِ لا يكونُ فيها اتِّساعٌ ولا ضِيقٌ، ولا مَاءٌ، ولا بَياضٌ في ظاهِرِها، ولا[٧] مانعٌ، والعَيْنُ لا تُبْصِرُ؟

قيلَ لَهُ: ذلك لأمرين: إمَّا لعِلَّةٍ في المُرْسِلِ كما قلنا، أو في المُؤدِّي الذي هو العَصَبُ الأجوفُ.

١- مقاييس اللُّغة: (٨٣/٣): "... ويقال للطعام الذي يُتَّخذ للمسافر: سُفْرة. وسمِّيت الجِلدة سُفْرة.
(الهامش ١، ص٨٣): في اللسان: "السفرة طعام يتخذه المسافر، وأكثر ما يحمل في جلد مستدير".
وفي المجمل: "والسفرة طعام يتخذ للمسافر، وبه سميت الجلدة سفرة"".
- القاموس المحيط: (٤٩/٢): "والسُّفْرَةُ بالضمِّ: طَعامُ المُسافِر، ومنه سُفْرَةُ الجِلدِ، وككتابٍ حديدَةٌ أو جِلْدَةٌ توضَعُ على أنْفِ البعيرِ بمنزلة الحَكَمَةِ من الفرسِ، ج أسْفرَةٌ وسُفُرٌ وسَفائِرُ".

٢- نور عثمانية: (وسط).

٣- المنجد: (ص٣٢٩): "السِّرَاج: ج سُرُج: إناء يُجعل فيهِ زيت أَو نحوه فيصعد في فتيلة ويتحلَّل إلى موادّ مشتعلة في طرفها عندما تمسّهُ النار فيُسْتضاء بهِ".

٤- (الداخلة): بمعنى (الداخلية).

٥- سقطت عبارات كثيرة من النص الأصلي.

٦- سقطت مادة من النص بعد هذا العنوان.

٧- تيمور، بطرسبورغ: (ولا): ساقطة منها.

ولذلكَ وَصَفَتْ لنا العُلماءُ ما[١] يَسْتَبينُ بِهِ ذلكَ: أنْ تُغمِضَ إحدى العَينين تغميضًا، و[٢] تضعَ الإصبعَ على النَّاظرِ وتغْمِزَهُ[٣]، فإن اتَّسعَتِ العَيْنُ الأخرى عَلِمْنا عندَ[٤] ذلكَ أنَّ النُّورَ صَحيحٌ لا عِلَّةَ بِهِ، لأنَّه أقْلَبَ[٥] الرُّوحَ إلى العَيْنِ الأُخرى، ولم نَرَهُ يَمْنَعُهُ مانعٌ.

فإنْ لم تَرَ العَيْنَ الأخرى تَتَّسعُ ولا تضيقُ[٦]، عَلِمْنا عندَ ذلكَ أنَّ العَصَبةَ مسدودةٌ.

فإنْ كانتا جميعًا مفتوحتين عندَ تغمِيضنا كُلَّ واحدةٍ منهما علمْنا عندَ ذلكَ[٧] أنَّ العِلَّةَ في المُرْسِلِ. وأنَّ[٨] ذلكَ لا يكونُ إلَّا من ذَهابِ[٩] العَقْلِ، أو[١٠] عندَ الموتِ: فإنَّه يَبْطُلُ البَصَرُ[١١] في ذلكَ الوقتِ أو قَبْلُ،[١٢]... ذَهَبَ السَّوادُ و[١٣] يبقى البَيَاضُ أو يَجْمُدُ البَصَرُ.

فهذا جوابُ ما سألْتَ عنه {إنْ شاءَ الله[١٤]}.

١- نور عثمانية: (ما): ساقطة منها.
٢- نور عثمانية: (أو).
٣- تيمور: (وتغمز).
٤- نور عثمانية: (عند): كتبت على الهامش.
٥- القاموس المحيط: (١/١١٩): "قَلَبَه يَقْلُبه يَقْلِبه: حَوَّلَه عن وجْهِه كأَقْلَبَه وقَلَّبَه".
٦- تيمور: (تضيق): غير واضحة. بطرسبورغ: (تربو).
بمعنى: أنَّك ترى أنَّ العَيْن الأخرى لا تتسع ولا تضيق [أنَّ العين لا تتسع ولا تضيق].
٧- تيمور، بطرسبورغ: (عند ذلك): ساقطة منها.
٨- تيمور: (كان): زائدة فيها.
٩- نور عثمانية: (دها).
١٠- نور عثمانية: (و).
١١- نور عثمانية: (النظر).
١٢- نقصٌ في النَّصِّ وكلماتٌ من خارج السياق: (ذوبان!).
١٣- نور عثمانية: (أو). العبارة ناقصةٌ؛ لذلك فإنَّها غير مفهومة ونرجّح أنَّ بعض الكلمات قد سقطت من النَّصِّ.
١٤- نور عثمانية: العبارة بين { } ساقطة منها.